مسجد شيرامان جمعة بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية، دراسة مقارنة

Çıraman Juma Mosque: Between Historical Fact and Popular Legend, A Comparative Study

أ.م.د.محاسن علاوي خلف السامرائي

Assistant Professor Mahasin Allawi Khalaf Al-Samarrai

جامعة سامراء/كليةالتربية

University of Samarra, College of Education

Email: mahasinallawi124@gmail‹com

الملخص :

يتناول هذا البحث وصول الإسلام في وقت مبكر إلى شبه القارة الهندية، مركّزًا على وجود مسجد شيرامان جمعة في مدينة كودنغلور بولاية كيرلا – الهند، والذي يُنسب إلى كونه أول مسجد بُني في شبه القارة الهندية، يعرض البحث البيئة الجغرافية والاقتصادية لكيرلا قبل الإسلام، وتنوّع سكانها من الهندوس والبوذيين والمسيحيين والتجار العرب، كما يستعرض الرواية الأسطورية لإسلام الملك شيرامان بيرومال، ويناقشها على ضوء المصادر التاريخية الإسلامية والوثائق المحلية، ويحلل الوصف المعماري للمسجد، وأعمال الترميم الحديثة، ودوره الاجتماعي والثقافي في المجتمع المابيلي، ويخلص البحث إلى أن المسجد يشكّل رمزًا حضاريًا يعكس التفاعل بين الإسلام والبيئة المحلية، ويظل مجالًا خصبًا لمزيد من الدراسات الأثرية والتاريخية، تكشف هذه الدراسة أن المسجد يمثّل رمزًا للتفاعل بين الإسلام والبيئة المحلية، ويشهد على انتقال الإسلام إلى الهند عبر التجارة والتواصل الثقافي لا عبر الفتوحات العسكرية،

Abstract

This study explores the early arrival of Islam in the Indian subcontinent, focusing on the Cheraman Juma Masjid in Kodungallur, Kerala, regarded as the first mosque built in the Indian subcontinent، It presents the geographical and economic setting of Kerala before the arrival of Islam, highlighting the diversity of its inhabitants—Hindus, Buddhists, Christians, and Arab traders، The paper examines the legendary narrative of King Cheraman Perumal's conversion to Islam, and critically evaluates it in light of classical Islamic sources and local documents، It also analyzes the mosque's architectural features, successive renovations, and its socio-cultural role within the Mappila Muslim community، The study concludes that the mosque stands as a cultural landmark reflecting the interaction between Islam and the local environment, and remains a fertile field for further archaeological and historical research،

This study highlights that the mosque represents a symbol of interaction between Islam and the local environment, demonstrating the peaceful arrival of Islam in India through trade and cultural exchanges rather than conquests،

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، تمثل سواحل مالابار في جنوب غرب الهند إحدى أهم مناطق التفاعل التجاري والثقافي بين العرب وشبه القارة الهندية منذ ما قبل الإسلام، إذ كانت السفن العربية تجوب بحر العرب والمحيط الهندي بحثًا عن التوابل والأخشاب واللؤلؤ، وجعلت من موانئ مثل كولم وكودنغلور محطات رئيسة.

ومع ظهور الإسلام تعمّق هذا التواصل، وحمل التجار العرب معهم الدين الجديد، وفي هذا السياق برز اسم مالك بن دينار (ت 131هـ/748م تقريبًا)، الذي تنسب إليه الذاكرة الدينية المحلية في كيرلا تأسيس أول مسجد، المعروف بمسجد مالك بن دينار في كاسركود/تالنغارا، وترتبط هذه الرواية بقصة إسلام الملك شيرامان بيرومال (580–620م)، وهو لقب لملوك كيرلا، لا اسمًا لشخص واحد، ويظهر في المصادر الإسلامية بوصفه ملكًا أسلم في عهد النبوة ومهّد لبناء أول مسجد في الهند (النمر، 1981م، ص 90–94؛ فرشتا، 1955م، ج4، ص 834)، غير أن هذه الرواية الشعبية تصطدم بصمت المصادر الإسلامية المبكرة؛ فكتب التراجم والزهد مثل حلية الأولياء وسير أعلام النبلاء لم تذكر رحلة لمالك بن دينار إلى الهند، واقتصرت على نشاطه في البصرة، ويكشف ذلك عن توتر بين التاريخ الموثق والأسطورة التأسيسية التي صاغها مسلمو كيرلا لربط نشأة الإسلام لديهم بالمركز الإسلامي الأول.

وتنبع أهمية دراسة الموضوع من إظهار دور التجارة والتثاقف السلمي في انتشار الإسلام، وفهم كيفية تشكّل الذاكرة الدينية في المجتمعات الطرفية، مع مقارنة المصادر العربية الكلاسيكية مثل ياقوت الحموي والإدريسي وابن بطوطة بالروايات المحلية مثل تحفة المجاهدين، ويرى باحثون معاصرون مثل فريدمان وسكوت كوجل وروكسانه مارغاريتي أن هذه الروايات أقرب إلى الأسطورة الجماعية، رغم أن وجود مساجد قديمة منسوبة لمالك بن دينار يفرض قراءة نقدية حذرة تميّز بين الرمز والشخصية التاريخية.

إشكالية البحث:

يتجسد الإشكال في تعارض الروايات؛ فالموروث المحلي يؤكد وصول الإسلام إلى كيرلا منذ القرن الأول الهجري عبر قصة شيرامان بيرومال وبناء مسجد كودنغلور، بينما تشير المصادر العربية إلى أن الانتشار الأول كان في بلاد السند، ويثير هذا التعارض سؤالًا مركزيًا حول إمكان التوفيق بين التاريخ الموثق والرواية الشفوية التي شكّلت وجدان مسلمي المنطقة .

أهمية البحث :

تتجلى أهمية هذا البحث في أنه يسعى إلى كشف أبعاد حضور الإسلام المبكر في الهند بعيدًا عن السرديات التقليدية، فهو يسلّط الضوء على دور سواحل المليبار كمحطة أساسية للتبادل التجاري والثقافي بين العرب والهند، وعلى مسجد شيرامان جمعة كرمز حضاري لا يقتصر على كونه أول مسجد في الهند، بل يعكس أيضًا تفاعل المسلمين مع البيئة المحلية وتعايشهم مع الأديان والثقافات الأخرى، كما تكمن الأهمية في تحليل الروايات الشعبية التي تبناها المسلمون الهنود للدفاع عن أصالتهم التاريخية وهويتهم الدينية، مما يجعل هذا البحث مساهمة في فهم كيفية صناعة الهوية الإسلامية في الأطراف البعيدة عن مركز العالم الإسلامي.

منهجية البحث :

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي من خلال تتبع الروايات الواردة في المصادر الإسلامية والعربية الكلاسيكية وربطها بالواقع السياسي والاجتماعي لشبه القارة الهندية في العصور الوسطى، كما استُخدم المنهج الوصفي لعرض البيئة الجغرافية والاقتصادية والثقافية لولاية كيرلا وسواحل المليبار، باعتبارها الإطار الذي ظهر فيه المسجد وتشكّل من خلاله الوجود الإسلامي المبكر.

وإلى جانب ذلك، لجأ البحث إلى المنهج المقارن بمقابلة الروايات الشعبية والأسطورية — مثل قصة إسلام الملك شيرامان بيرومال ورحلة مالك بن دينار — مع النصوص الموثقة في كتب الجغرافيين والمؤرخين العرب كالمسعودي، الإدريسي، وياقوت الحموي، وكذلك مع الشهادات المحلية مثل تحفة المجاهدين، هذا المقارنة تهدف إلى الكشف عن التداخل بين الحقيقة التاريخية والرمز الشعبي، وتوضيح كيف صاغ المجتمع المحلي هويته الدينية والثقافية في ضوء تلك السرديات.

بهذا التعدد المنهجي، يسعى البحث إلى رسم صورة أكثر دقة وشمولًا عن بدايات الإسلام في كيرلا، ويوازن بين المعطيات التاريخية الثابتة والروايات الشفوية التي شكلت الذاكرة الجماعية لمسلمي مالابار

أولاً : الموقع والجغرافية والثروات الطبيعية

تقع سواحل مالابار في جنوب غرب الهند، يحدها من الغرب بحر العرب ومن الشرق جبال الغات الغربية، وتُعد مدينة كودنغلور (Kodungallur) مركزًا استراتيجيًا مهمًا في هذه المنطقة لوقوعها على ساحل مالابار(ياقوت 1993م، ج5، ص196)، وفيها قام مسجد شيرامان الذي يُعتقد أنه بُني منذ بداية القرن الأول الهجري، وقد التقت عندها طرق التجارة بين العرب والرومان ثم المسلمين (Logan, 1887, Vol، 1, pp، 42–36).

أما المناخ فهو استوائي موسمي، يتميز بغزارة الأمطار السنوية (2500–3000 ملم)، مع درجات حرارة معتدلة تراوح بين 22–32°م، مما ساعد على تنوع المحاصيل مثل الفلفل الأسود والهيل والزنجبيل (India Meteorological Department, 1933, p، 214)، لذلك اشتهرت المنطقة بثرواتها الطبيعية والتجارية:

- التوابل (خصوصًا الفلفل الأسود الملقب بـ "الذهب الأسود")،
- الأخشاب (خشب الساج)،
- زراعة جوز الهند،
- الأحجار الكريمة والذهب واللؤلؤ

وقد ذكرت بعض المصادر أن سواحل مالابار كانت محطة مركزية للتجارة مع العرب والرومان منذ القرن الأول الميلادي(المسعودي، 1966م، ج1، ص72) (Casson, 1989, pp، 65–67; Hourani, 1995, pp، 93–96).

كيرلا اليوم ولاية هندية كاملة تقع في جنوب غربي الهند على ساحل المليبار، مساحتها كبيرة نسبيًا (أكثر من 38 ألف كم²)، وعاصمتها الحالية تريفاندروم (Thiruvananthapuram)، وتضم عشرات المدن والموانئ مثل كاليكوت (Calicut/كوزيكود) وكوتشي (Cochin/كوتشين) وكدونغلور ،وقد وصفها الإدريسي بأنها أعظم مرافئ الهند، مما يوضح أهميتها الخاصة في تلك الفترة (Kodungallur/Cranganore) (الإدريسي1970م، ج2، ص80).

وتسمى في المصادر العربية بـ كدمقلور، وهي مدينة ساحلية صغيرة تقع داخل ولاية كيرلا الحالية، وكانت في العصور الوسطى أحد أهم الموانئ التجارية على ساحل المليبار، إذ كانت مركز التبادل التجاري مع العرب والفرس، وقد ارتبطت في الروايات الإسلامية والهندية ببناء أول مسجد في الهند (Cheraman Juma Masjid) في القرن السابع الميلادي.(البلاذري،1403هـ، ج1،ص415) فكيرلا تعني الإقليم أو الولاية الكبيرة (وحدة جغرافية واسعة)، أما كدمقلور فهي مدينة/ميناء محدد داخل كيرلا، إذن:

كيرلا: المنطقة كلها حيث انتشر الإسلام والمساجد (كاليكوت، كوتشي، كدمقلور...).

كدمقلور: يقصد بها المدينة التي بُني فيها أول مسجد (مسجد شيرامان)، والتي كانت مركزًا محوريًا للتجارة مع العرب،(ياقوت الحموي1993م، ج5، ص 102–103).

ثانياً : السكان

من الناحية السكانية، ضمّت كيرلا فسيفساء دينية وثقافية متنوّعة:

1- الهندوس: كانوا الأغلبية تحت حكم سلالة تشيرا، والهندوس هم اقوام لديهم عقائد متعددة تتضمن عبادة عدة آلهة ومفاهيم عن الحياة والموت والتناسخ (البيروني،1958م، ص79)

2- البوذيون والجينيون: كان لهم حضور محدود، فالبوذية نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد على يد غوتاما بوذا وهي عقيدة غير سماوية بل فلسفية تعتمد على نصوص وتراث تقليدي لبوذا، أما الجينيون فهم أصحاب ديانات فلسفية تعطي أهمية لمبدأ اللاعنف مع كل الكائنات ،(شلبي، 1984م، ص43)

3- المسيحيون الأوائل (نصارى القديس توما): استقروا في المنطقة منذ القرن الأول (Bayly, 1989, pp،22–18).

4- التجار العرب: وصلوا قبل الإسلام بثلاثة قرون على الأقل الميلادي (المسعودي،1989،ج1،ص57) (Narayanan, 1996, pp،27–21).

أما من الناحية الاجتماعية، فقد انقسم السكان إلى طبقات:

1- البراهمة (النخبة الدينية).

2- النير (المحاربون).

3- الطبقات الدنيا (الفلاحون).

هذا النظام جعل بعض الفئات أكثر استعدادًا لتقبل الإسلام الذي جاء لاحقًا عبر التجار والدعاة (Fuller, 1976, pp،70–53).

ثالثاً : المسجد الكبير في كيرلا (مسجد شيرامان جمعة)

يُعد هذا المسجد الأقدم في كيرلا والهند عامةً، ويُسمى أيضًا بـ مسجد شيرامان جمعة.

تفيد الروايات الشعبية في كيرلا مع بعض الروايات التاريخية التي أكدت وجود المسلمين هناك بأن المسجد أنشئ في القرن الأول الهجري حوالي(629م) وينسب بناؤه الى مالك بن دينار وجماعته استناداً الى اذن الملك شيرامان بيرومال،(البلاذري،1403هـ،ج1،ص415) وهو تقليد متوارث لدى مسلمي المنطقة،(وعلى الرغم من غياب الأدلة الأثرية المؤكدة، فإن الأسطورة منحت المسجد مكانة روحية عميقة لدى المسلمين في الهند (Hasan, 2024, pp،4–2)،وقد تعرض المسجد لاحقًا للتخريب الجزئي في فترة البرتغاليين (القرن 16م)، ورغم ذلك أُعيد ترميمه على مراحل عدة (Logan, 1887, pp،Kuriakose, 2021, pp; 115–112 ،7–5).

رابعاً : توسعات المسجد عبر العصور: لم يبقَ مسجد كيرلا الكبير على هيئته الأولى منذ بنائه في القرن السابع الميلادي، وإنما مرَّ بسلسلة من التوسعات والإصلاحات التي تعكس نمو المجتمع الإسلامي في المليبار وازدهار التجارة البحرية مع العالم الإسلامي، إذن لم يكن المسجد ثابتًا في شكله منذ بنائه، بل مرّ بسلسلة من التوسعات والترميمات التي تعكس نمو المجتمع الإسلامي وتفاعله مع تحديات الزمان، فقد تعرض لأضرار في القرن السادس عشر إبّان الاحتكاك بالبرتغاليين، ثم أعيد بناؤه بالحجر والجير، وحافظت بعض ملامحه الخشبية على

استمرارية الطابع المحلي، وفي القرن العشرين جرت توسعات جديدة لتستوعب أعداد المصلين المتزايدين، قبل أن يطلق مشروع موزيريس التراثي (2013–2019) مرحلة ترميمية حديثة أعادت للمسجد طابعه التقليدي الخشبي وأزالت الإضافات الخرسانية،(Panikkar,Malabar and,the Portuguese1929,p77)

إن هذه التحولات العمرانية لا تعكس مجرد تغييرات تقنية، بل تمثل ذاكرة جماعية للمسلمين في كيرلا، إذ يجد كل جيل نفسه مشاركًا في حماية المسجد وتجديده، ومن ثم فإن دراسة الترميمات تكشف كيف تحوّل المبنى إلى سجل حيّ يعكس حضور المسلمين عبر العصور.

المرحلة الأولى (القرن السابع الميلادي/الأول الهجري): أُنشئ المسجد بأمر من الملك شيرامان برمال وبدعم من التجار العرب الذين وفدوا إلى كودنغلور، وكان البناء الأولي بسيطًا من المواد المحلية (الخشب وجريد النخل) (Panikkar, 1989, p، 77).

المرحلة الثانية (القرن 11–12م/القرن 5–6هـ): مع ازدياد عدد المسلمين المابلا (وهم المولدين من أبناء التجار والوافدين العرب والمسلمين الى سواحل مالابار الذين تزوجوا نساء هنديات وتركوا خلفهم ذريتهم منهن)(المسعودي1966م، ج1،ص29 ؛ ابن خلكان1968م، 1900م، ج2، ص71) والتجار العرب في سواحل المليبار (المقدسي11906م، ج1، ص14)، جرى توسيع المسجد بشكل ملحوظ، فأضيفت قاعة صلاة أكبر وأعيد بناء أجزاء من السقف والأعمدة، وتُعد هذه التوسعة الأولى الكبرى، وقد قام بها التجار المسلمون العرب وأعيان المابلا المحليين (المسعودي، 1966م، ج1، ص29؛ شريف،1994م،ص12–13).

المرحلة الثالثة (القرن 16م/العاشر الهجري): هذا المسجد قد لحقه أذى خلال الحقبة البرتغالية في القرن السادس عشر الميلادي، غير أن جماعة من المسلمين المحليين أعادوا ترميمه في مراحل لاحقة، مما سمح باستمرار وظيفته الدينية والاجتماعية، فأعيد بناء جدرانه بالحجارة والجير، مع الاحتفاظ ببعض العناصر الخشبية الأصلية (Dale, 2009, p، 65).

المرحلة الرابعة (القرن 20م): تمت توسعات إضافية لإفساح المجال للمصلين مع إدخال إصلاحات معمارية حديثة، إلا أن المجتمع الإسلامي المحلي حرص على الإبقاء على بعض الأقسام التراثية مثل المحراب الخشبي القديم وبعض النقوش (Friedmann, 2003, p، 229)، وبذلك، فإن توسعة المسجد لم ترتبط بحاكم مركزي مثل سلاطين دلهي، بل كانت ثمرة جهود التجار العرب المسلمين والمابلا الذين دعموا بقاء المسجد وتطوره ليبقى شاهدًا على أقدم وجود إسلامي في شبه القارة الهندية.

خامساً : التخطيط العمراني : يحتوي المسجد على حرم مربع الشكل يتكون من أربعة أعمدة خشبية تحمل السقف المائل بشكل واضح لمنع تراكم مياه الأمطار، يتميز سقف المسجد بأنه

مكوّن من عدة طبقات من الخشب، زيادةً في المتانة والدقة(Kuriakose, 2021, pp، 5–7).

أما المحراب فهو بسيط التكوين خالٍ من الزخرفة والتعقيد، أما المنارة فقد عُوّض عنها ببرج خشبي صغير يميّز المسجد عن غيره من الأبنية، وتوجد أوجه شبه كبيرة بين عمارة المسجد الكبير في كيرلا وبين مساجد زنجبار وعدن (Hourani, 1995, pp، 93–96) وقد جرى ترميم المسجد في إطار مشروع Muziris Heritage (2013–2019)، حيث أُزيلت الإضافات الخرسانية الحديثة وأعيد الشكل الخشبي التقليدي (Kuriakose, 2021, pp، 5–7).

سادساً : الدور الاجتماعي والثقافي

كان لمسجد شيرامان جمعة أدوار متعددة:

1- التعليم: قُدّمت فيه دروس القرآن الكريم والفقه الإسلامي.

2- القضاء: عُقدت فيه مجالس الشورى للفصل بين النزاعات.

3- التعايش: شارك غير المسلمين أحيانًا في أنشطة اجتماعية، مما جعله مركزًا للتفاعل بين الطوائف (Bayly, 1989, pp، 18–20).

كما ارتبط المسجد بظهور الأدب المابيلي (وهو الأدب الذي مكّن المسلمين من الحفاظ على هويتهم ونشر ثقافتهم بلغتهم المحلية المكتوبة بالحروف العربية)((Arabi–Malayalam) Miller, 1976, pp)،(48–45 .

العلماء والأدب المابيلي

برز عدد من العلماء والدعاة في كيرلا ممن ارتبط ذكرهم بالمسجد الكبير، ومن أبرزهم:

1- مالك بن دينار (ت 131هـ): من أوائل الدعاة الذين ارتبطت أسماؤهم بالمنطقة (الذهبي، 1981، ج6، ص18–21).

2- حبيب بن مالك: رفيقه في الرحلة (الندوي، 1981، ص55).

3- شهاب الدين المهاجر: فقيه شافعي بارز (Nainar, 1942, pp، 41–42).

4- عبد الله المابيلي: كتب الفقه بالمالايالام (Panikkar, 1929, p، 47).

5- فخر الدين المابَري: صوفي بارز (Sherwani, 1964, pp، 102–105).

وكان الأدب العربي–الملايالي (Arabi–Malayalam) أداة رئيسية لحفظ الدين، حيث استُخدم لنقل النصوص الإسلامية بلغة محلية مكتوبة بالحروف العربية، مما ساهم في نشر العلوم الشرعية وحماية الهوية الإسلامية (Miller, 1976, pp، 63–66)

سابعاً : المقارنة التاريخية

اولاً- الطابع الأسطوري: الرواية الشعبية حول إسلام الملك شيرامان بيرومال وبناء المسجد تبدو أقرب إلى الأسطورة المؤسسة منها إلى الحقيقة التاريخية (حسن ، 2024م، ص3-4).

ثانياً- غياب الأدلة الأثرية المبكرة:فلا توجد نقوش أو وثائق معمارية تعود للقرن السابع تؤكد بناء المسجد مباشرة في تلك الفترة (Kuriakose, 2021, pp، 5-7).

ثالثاً - قوة التراث الشفوي: حافظت الذاكرة الشعبية على القصة عبر القرون، مما عزز الهوية الإسلامية لمسلمي كيرلا حتى مع ضعف الأدلة المادية (Miller, 1976, pp، 45-48)،

ويُطرح هنا سؤال مهم:

إذا كانت قصة المسجد يشوبها بعض الخيال والأسطورة الشعبية، فلماذا أصر المسلمون في كيرلا على التمسك بها؟

الجواب أن المسلمين الهنود أرادوا من خلالها إثبات عمق الجذور الإسلامية في الهند، فبربط إسلام الملك المحلي ببناء المسجد، يصبح الإسلام جزءًا أصيلاً من تاريخ المنطقة وليس دينًا دخيلًا جاء مع الفاتحين، وهكذا تحولت الرواية الشعبية إلى وسيلة دفاعية وسياسية في مواجهة التشكيك بالوجود الإسلامي.

ثامناً : قراءة تحليلية في الرواية والأسطورة

1- طبقات الخطاب اللغوي :

إن المقارنة بين النصوص العربية القديمة والروايات المحليّة تكشف عن تباين في طبيعة اللغة التي صاغت دخول الإسلام إلى المليبار، فالنصوص العربية – مثل ما ورد عند المسعودي والإدريسي وياقوت الحموي – اتسمت بعبارات واقعية وصفية: مساجد، تجار، غرباء، أمان، هذه اللغة تعكس اهتمامًا بالتوثيق الجغرافي والاجتماعي أكثر من اهتمامها بالبعد الرمزي.

في المقابل، اتخذت الروايات الشعبيّة بالعربي-مالايالام صيغة ملحمية شعائرية: انشقاق القمر، إسلام ملك، بناء بأمر سماوي، هذه المفردات تُحوِّل الوجود الإسلامي من حقيقة تاريخية جزئية إلى أسطورة تأسيسية تعطي المسجد مكانة روحية كبرى وتربط المجتمع المسلم مباشرة بالنبي ﷺ، (متحف شيرامان Muziris Heritage2021/ ص، 5-7)

يتضح من هذا التحليل أن الفارق بين الروايتين ليس فقط في المضمون، بل في طبيعة الخطاب: الأولى واقعية خبرية، والثانية أسطورية رمزية.

2- التوظيف الهوياتي للأسطورة :

لم تقف الأسطورة عند حدود الذاكرة الشعبية، بل استُخدمت كأداة دفاعية في مواجهة التشكيك الديني والسياسي، فمسلمو كيرلا وجدوا في قصة شيرامان بيرومال برهانًا على أنهم أبناء أصيلون للأرض لا مجرد وافدين، نسب المسجد إلى قرار ملك محلي لا إلى داعية عربي جعل الإسلام يبدو جزءًا من تاريخ الهند الداخلي لا امتدادًا خارجيًا.

ومع بروز تحديات الاستعمار البرتغالي ثم البريطاني، أعيد توظيف هذه الأسطورة لتأكيد أن الإسلام دخل عبر التجارة والتثاقف السلمي لا عبر السيف، وهكذا تحول مسجد شيرامان من معلم ديني إلى وثيقة هوية، يستحضرها المسلمون في كيرلا حتى اليوم لإثبات عمق جذورهم ومكانتهم ضمن التعددية الدينية في جنوب الهند، إن هذا التحليل يُظهر أن الرواية حول مسجد شيرامان لم تكن مجرد قصة متوارثة، بل نصًا متعدّد الطبقات يتطور خطابه بحسب حاجات المجتمع، فمن الوصف الواقعي في المصادر العربية، إلى الأسطورة الشعبية في الروايات المحليّة، وصولًا إلى التوظيف الهوياتي في مواجهة التحديات، ظل المسجد حاملًا لرمزية مركّبة تجمع بين الدين والتاريخ والسياسة.

3- القراءة المعمارية المقارنة :

يُظهر الطابع المعماري لمسجد شيرامان جمعة أنه ينتمي إلى بيئة بحرية متصلة بشبكات المحيط الهندي، فالمسجد بُني في الأصل من الخشب وجريد النخل، مع سقف مائل لمنع تجمع مياه الأمطار، وأعمدة خشبية تحمل الحرم الداخلي، هذه السمات تكاد تتطابق مع ما نجده في مساجد شرق أفريقيا واليمن، خصوصًا في زنجبار وعدن، حيث اعتمد البنّاؤون على المواد المحلية نفسها، وطوّروا نمط السقف المائل لحماية الأبنية من الرطوبة والفيضانات،(Logan,Malabar, Manual,1887pp112–115) .

إن التشابه المعماري بين كيرلا وسواحل البحر العربي لا يمكن تفسيره بمجرد المصادفة، بل يدل على أن التواصل التجاري والبحري أسهم في نقل المعرفة البنائية بقدر ما أسهم في نقل السلع والأفكار، وبهذا يصبح المسجد شاهدًا على أن الإسلام دخل المليبار من خلال شبكة بحرية ثقافية، لا عن طريق الفتوحات العسكرية،(Horani ,Indian Ocean1995 pp93–96)

4- تقاطع التاريخ والهوية :

تمثل قصة مسجد شيرامان نموذجًا لكيفية تقاطع التاريخ الموثق بالأسطورة الشعبية في صناعة هوية جماعية، فالمصادر العربية المبكرة تشهد بوجود المسلمين ومساجدهم، لكن الرواية الشعبية أضافت عنصر الملك الذي أسلم، فحوّلت الحضور الواقعي إلى ذاكرة رمزية، هذا الدمج بين الحقيقة والأسطورة مكّن المسلمين من تقديم أنفسهم بوصفهم جزءًا أصيلًا من النسيج الاجتماعي والديني في جنوب الهند،(حسن 2004م، 3–4)

وفي فترات التشكيك أو الصراع، خصوصًا زمن الاستعمار وما بعده، استُخدم المسجد كمرجع يثبت أن الإسلام دخل الهند بوسائل سلمية عبر التجارة والتثاقف، وبذلك لم يعد المسجد مجرد بناء للعبادة، بل صار وثيقة هويّة حضارية تمنح المجتمع المسلم شرعية تاريخية ومعنوية في مواجهة التحديات المستمرة،(ابن بطوطة، 1997م، ج2،ص112) (زين الدين العبري،1942م، 45-46)

الخاتمة والنتائج :

1، رمزية المسجد: مسجد شيرامان لم يكن مجرد مبنى للعبادة، بل رمز حضاري يجسد تلاقي الدين والتجارة والثقافة.

2، غياب الأدلة القطعية: لا توجد وثائق رسمية من القرن السابع تثبت قصة إسلام الملك، لكن الرواية الشعبية منحت المسجد مكانة روحية وتاريخية.

3، الوصول المبكر للإسلام: وجود المسجد يؤكد أن الإسلام وصل مبكرًا إلى كيرلا عبر التجارة والدعوة، حتى وإن اختلفت التفاصيل بين الروايات الهندية والعربية.

4، الروايات المتناقضة: القصة الشعبية (شيرامان) تناقض رواية مالك بن دينار، مما يعكس الحاجة إلى مزيد من التحقيق النصي والأثري.

5، هوية المسلمين في كيرلا: التمسك بالرواية الشعبية منح المسلمين شعورًا بالأصالة والانتماء العميق للمنطقة، وجعلهم ينظرون إلى أنفسهم كجزء أصيل من المجتمع الهندي.

6، أهمية الدراسات المستقبلية: ثمة ضرورة لإجراء بحوث أثرية ونقدية جديدة لكشف الحقائق وراء هذه الروايات، وتفكيك الأساطير الشعبية التي التصقت بالآثار الإسلامية المبكرة في الهند .

القرآن الكريم :

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر والمراجع العربية

1- الأدريسي، محمد بن محمد (ت177هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن: بريل، 1970م.

2- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت770هـ)، رحلة ابن بطوطة، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م.

3- البيروني، محمد بن أحمد (ت440هـ)، تحقيق ما للهند، ترجمة: إدوارد سخاو، ليدن: بريل، 1958.

4- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ .

5- ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله (280هـ)، المسالك والممالك، تحقيق: دي خويه، ليدن: بريل 1889م.

6- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر1968م.

7- الذهبي، شمس الدين محمد (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، بيروت: مؤسسة الرسالة1981م.

8- المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت: دار ومكتبة الهلال،1966م.

9- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1906م.

10- المعبري، زين الدين (ت928هـ)، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق: محمد حسين نيسابوري، حيدر آباد: مطبعة الجامعة العثمانية،1942م .

11- ياقوت الحموي، شهاب الدين أحمد (ت622هـ)، معجم البلدان، بيروت: دار صادر1993م.

المراجع الثانوية:

12- حسن، محمد كامل ، مسجد شيرامان جمعة: أول مسجد في الهند، المجلة الدولية للبحوث متعددة التخصصات 2024

13- شريف، عبد الله ، العبيد والتوابل والعاج في زنجبار: اندماج إمبراطورية تجارية في شرق أفريقيا في الاقتصاد العالمي (1770–1873م)، لندن: دار جيمس كوري للنشر1994م.

14- شلبي، أحمد ، أديان الهند الكبرى: الهندوسية، الجينية، البوذية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1984م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

15- بايلي، سوزان (1989)، القديسون والإلهات والملوك، كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج.

16- كاسون، ليونيل (1989)، الطواف حول البحر الإرتري، برنستون: مطبعة جامعة برنستون.

17- ديل، ستيفن فريد (1980)، المابيليون في الملبار، أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.

18- ديل، ستيفن فريد (2009)، الإمبراطوريات الإسلامية: العثمانيون والصفويون والمغول، كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج.
19- فريدمان، ي، (2003)، التسامح والإكراه في الإسلام، كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج.
20- فولر، س، ج، (1976)، المسيحيون في كيرلا ونظام الطبقات، مجلة مان، 11(1)، 53-70.
21- هوراني، جورج (1995)، الملاحة العربية في المحيط الهندي، برنستون: مطبعة جامعة برنستون.
22- دائرة الأرصاد الجوية الهندية (1933)، الجداول المناخية لمحطات الرصد في الهند، 1901–1930، كالكوتا: مطبعة حكومة الهند.
23- كوريكوز، بيني (2021)، ترميم مسجد شيرامان جمعة: أقدم مسجد في الهند، مشروع موزيريس للتراث.
24- لوغان، وليم (1887)، دليل الملبار، مدراس: المطبعة الحكومية.
25- ميلر، رولاند (1976)، مسلمو المابيلا في كيرلا، مدراس: أورينت لونغمان.
26- نينار، س، م، (1942)، التأثير العربي في كيرلا، مدراس: مطبعة جامعة مدراس.
27- نارايانان، م، ج، س، (1996)، ملوك بيرومال في كيرلا، كاليكوت: مطبعة جامعة كاليكوت.
28- بانيكار، ك، م، (1929)، الملبار والبرتغاليون، بومباي: مطبعة تاربورفالا.
29- بانيكار، ك، م، (1989)، تاريخ كيرلا 1498–1801، أنامالاي: مطبعة جامعة أنامالاي.
30- شرواني، حبيب (1964)، الأولياء المسلمون في جنوب الهند، حيدر آباد

The Holy Qur'an:

List of Sources and References:

First: Arabic Sources and References

1- Al-Idrisi, Muhammad ibn Muhammad (1970)، Nuzhat al-Mushtaq fi Ikhtiraq al-Afaq، Leiden: Brill،
2- Ibn Battuta, Muhammad ibn Abdullah (1997)، The Travels of Ibn Battuta, ed، Abd al-Hadi al-Tazi، Beirut: Dar al-Gharb al-Islami،
3- Al-Biruni, Muhammad ibn Ahmad (1958)، Kitab Tahqiq Ma li-l-Hind (India), trans، Edward C، Sachau، Leiden: Brill،
2. Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir (892)، Futuh al-Buldan, ed، Ridwan Muhammad Ridwan، Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1403 AH،

3. Ibn Khordadbeh, Ubayd Allah ibn Abdullah (1889)، Al-Masalik wa al-Mamalik, ed، M، J، de Goeje، Leiden: Brill،
4. Ibn Khallikan, Ahmad ibn Muhammad (1968)، Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman, ed، Ihsan Abbas، Beirut: Dar Sadir،
5. Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad (1981)، Siyar A'lam al-Nubala'، Beirut: Mu'assasat al-Risala،
6. Al-Mas'udi, Ali ibn al-Husayn (1966)، Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar، Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal،
7. Al-Muqaddasi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad (1906)، Ahsan al-Taqasim fi Ma'rifat al-Aqalim، Leiden،
8. Al-Ma'bari, Zayn al-Din (1942)، Tuhfat al-Mujahidin fi Ba'd Akhbar al-Burtughaliyyin, ed، Muhammad Husayn Naysaburi، Hyderabad: Osmania University Press،
9. Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Ahmad (1993)، Mu'jam al-Buldan، Beirut: Dar Sadir، Secondary Sources:
10. Hasan, Muhammad Kamil (2024)، Cheraman Juma Masjid: The First Mosque in India، International Journal of Multidisciplinary Research (IJFMR), 6(3), 26،
11. Sheriff, Abdul (1994)، Slaves, Spices and Ivory in Zanzibar: Integration of an East African Commercial Empire into the World Economy (1770–1873)، London: James Currey،
12. Shalabi, Ahmad (1984)، The Major Religions of India: Hinduism, Jainism, Buddhism، Cairo: Maktabat al-Nahda al-Misriyya, 7th ed، Second: Foreign References:
13. Bayly, Susan (1989)، Saints, Goddesses and Kings، Cambridge: Cambridge University Press،
14. Casson, Lionel (1989)، The Periplus of the Erythraean Sea، Princeton: Princeton University Press،
15. Dale, Stephen Frederic (1980)، The Mappilas of Malabar، Oxford: Oxford University Press،
16. Dale, Stephen Frederic (2009)، The Muslim Empires: The Ottomans, Safavids and Mughals، Cambridge: Cambridge University Press،
17. Friedmann, Yohanan (2003)، Tolerance and Coercion in Islam، Cambridge: Cambridge University Press،
18. Fuller, C، J، (1976)، Christians in Kerala and the Caste System، Man, 11(1), 53–70،
19. Hourani, George F، (1995)، Arab Seafaring in the Indian Ocean، Princeton: Princeton University Press،
20. India Meteorological Department (1933)، Climatological Tables of Observatories in India, 1901–1930، Calcutta: Government of India Press،

21. Kuriakose, Benny (2021)، Restoration of Cheraman Juma Masjid: The Oldest Mosque in India، Muziris Heritage Project
22. Logan, William (1887)، Malabar Manual، Madras: Government Press،
23. Miller, Roland E، (1976)، Mappila Muslims of Kerala، Madras: Orient Longman،
24. Nainar, S، M، (1942)، Arab Influence in Kerala، Madras: University of Madras Press،
25. Narayanan, M، G، S، (1996)، Perumal Kings of Kerala، Calicut: University of Calicut Press،
26. Panikkar, K، M، (1929)، Malabar and the Portuguese، Bombay: D، B، Taraporevala Sons،
27. Panikkar, K، M، (1989)، History of Kerala, 1498–1801، Annamalai: Annamalai University Press،
28. Sherwani, Haroon Khan (1964)، Muslim Saints of South India، Hyderaba